التربية و السلوك
في فكر الشيخ محمد أمين الفيضي
(رحممه الله)

أ.م .د طه عبد الله محمد السبعاوي*

الفهرست

المحتويات	الصفحة
المقدمة	
المبحث الاول :التعريف بمفردات العنوان	
المطلب الاول: التربية والسلوك ،لغة واصطلاحا	
المطلب الثاني : السلوك ،لغة ،واصطلاحا	
المبحث الثاني :ولادة ونشاة الشيخ محمد أمين الفيضي	
لمطلب الاول: ولادته ونشاته عليه الرحمة والرضوان	
المطلب الثاني : خاتمة الشيخ وانتقاله لجوار ربه	
المبحث الثالث : مكانة التربية والسلوك في المنظور الاسلامي	
المطلب الاول: الفكر الصوفي وحال الامة	
المطلب الثاني :مرتكزات التربية والسلوك في فكر الشيخ محمد امين الفيضي (البيت السبعاوي نموذجا)	

* جامعة الموصل– كلية التربية للبنات – قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية.

المطلب الثالث: أهم الوقفات الفكرية في التربية الفيضية	
الخاتمة :	
المصادر والمراجع :	

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العامين ،وافضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا ونبينا محمد الصادق الامين وعلى اله الطيبين الطاهرين ،وصحبه الغر الميامن .

اما بعد:

فان الامم كانت وتكون بالأخلاق ، وليس من حضارة قامت وعمرت الا ولها الحظ الأوفر من ذلك ،والمنظومة الاخلاقية والسلوكية اصيبت في مقتلها يوم اصيب المجتمع والامة بتخلف فكري لعل ابرز مظاهره استبدال الذي هو ادنى بالذي هو خير في كثير من مجالات الحياة، والاهتمام بالشكل بديل المضمون وبالقشور دون اللب ، وقد أُمِر سيدُنا آدم (عليه السلام)باستعمار الارض وفق امر وهداية الله ذي الجلال والجمال (سبحانه)،وجعل في ذريته من يجدد أعظم دوافع الخلق وحوافز الاخلاق ، فبعث الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ليجددوا العهد والميثاق ولتحفظ الارض وما عليها ما كان نظام الاخلاق قائما، ثم اكرم المولى سبحانه الخلق والكون بخاتم النبيين وسيد المرسلين ؛سيدنا محمد (ﷺ) ليقول روحي فداه: (انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) [1]،وجعل سبحانه في الامة المرحومة امانين الى قيام الساعة؛ الأول وجوده

(١) الأدب المفرد :لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت،ط٣ ، ١٤٠٩ – ١٩٨٩،ص١٠٤.

(ﷺ) في الامة ،والثاني الاستغفار؛ قَالَ سبحانه وتعالى : { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ }[١] . قال بعض السلف: كان لنا أمانان من العذاب: النبي (ﷺ) والاستغفار[٢]،

ثم جعل سبحانه على راس كل قرن من يجدد روح هذا الدين ،ويعيد الأمة الى الاخلاق الربانية والشمائل المحمدية، من العلماء الربانيين فهم ورثته (ﷺ)وكل ذلك للحفاظ على نظام الكون و بقاء الامة ببقاء نظامها الفكري والاخلاقي الذي ارتضاه الخالق سبحانه وجعله امانا لحفظ الدنيا ومن فيها، بل تكفل الله جل وعلا بذلك الحفظ ونسبه لذاته فقال: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }[٣] ،وحفظ القران يستلزم حفظ امته،

واليوم نحن نتكلم عن علم من أعلام هذه الامة المرحومة ،عن عالم رباني نذر حياته وأهله وماله لله وفي سبيل الله، وهو سليل بيت العلم والزهد والورع فضيلة الشيخ العلامة محمد امين بن الشيخ محمد شريف بن الشيخ محمد فخري بن الشيخ العلامة ذي الجناحين عبدالله الفيضي بن الشيخ العلامة مصطفى افندي الطائي الحنفي الموصلي، وشيخنا الملقب بالفيضي نسبة الى مؤلف جده الثاني والذي كان نظما بعنوان " وسيلة المشتاق الى مكارم الاخلاق" والتي قال فيها: [٤]

طلبت العلم من صغري الى ان ملأت بفضل الله حوضي
ولما فاض في نثر ونظم بخطة موصلٍ لقبت فيضي

(١) سورة الانفال :الاية : ٣٣.

(٢)البحر المديد :لأحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية . بيروت،ط٢ / ٢٠٠٢ م . ١٤٢٣ هـ،٣/٣٧.

(٣) سورة الحجر: الآية ٩.

(٤) ينظر: تاريخ الموصل ، سليمان صائغ الموصلي ، ٢٦٩/٢. وتاريخ الموصل :سعيد الدوه جي ، دار الكتب للطباعة والنشر ،الموصل١٤٢٢هـ /٢٠٠١م،٢٢٤/٢.والمرقاة شرح العلاقات ،القسم الثاني ،(مخطوط بحوزة اسرة الشيخ رحمه الله)،والسلسلة الفيضية ،الفيضي ،بهاء الدين عبدالله بن مصطفى الطائي الموصلي ،ت ١٣٠٩هـ ،للاستاذ الدكتور رأفت لوي حسين ال فرج ،دار الجيل العربي ،عمان،ط١/١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م،ص ٣٧ وما بعدها.

التربية و السلوك
في فكر الشيخ محمد أمين الفيضي
(رحممه الله)

أ.م .د طه عبد الله محمد السبعاوي

واننني اقف مع شيخنا الجليل للكلام عن فكره المتميز في قضيتي التربية والسلوك بعد الكلام عن ولادته ونشأته وشيوخه وطلبته ..منطلقا من كونه – رضي الله عنه ورحمه واكرم نزله – لم يترك بين ايدينا كتاب سطور ولا مؤلف ورقٍ .. مع سعة علمه ومكانته بين أهل العلم والإصلاح في زمانه ، لكنه ترك فكرا سلوكيا وتطبيقا عمليا لتجديد وعي الامة والنهوض بها من خلال منهج يشخص الداء والدواء .

ولا شك بأن التخلف الفكري هو أساس الشتات والوهن، وأسُّ كل تخلف وضعف في الامة ،من حيث أن الفكر هو مصدر الخواطر والافكار التي تنمو لتتحول الى اقوال وافعال ثم تنتشر سلوكا واخلاقيات ومناهج ونظريات ،

وان معالجة اخطر الآفات بشكل عملي هوما كانت تحتاجه الامة الموصلية والاسلامية في زمن ما عادت فيه أمة اقرأ تقرأ، وشيخنا الأمين(رحمه الله) ترك فكرا إصلاحيا عمليا مجسدا ،بدل المؤلفات الفكرية والاصلاحية وترك مؤسسات ودعاة عوضا عن الموسوعات والمخطوطات التي حبا الله بها غيره من علماء الأمة الصادقين لتكون من بعدهم عِلما يُنتفع به ،لكن الله سبحانه أكرم الشيخ ووفّقه ، ليترك بعده الثلاث من الباقيات الصالحات التي ذكرت في الحديث الصحيح من الصدقة الجارية ،والعلم النافع ،الولد الصالح الذي يدعو لأبيه ، وان دل ذلك على شيء فهو دليل على صدق واخلاص ، وصبر واصطبار الشيخ مع الله وفي الله سبحانه وعلى فكره الموسوعي والاستراتيجية الدعوية المباركة ، مع شخصية ألمعية تواضعت لله فرفعها وتبرأت من حولها وقوتها فكان لها ناصرا ومعينا.

وقد جاء العنوان في ثلاثة مباحث :

كان الاول :تعريفا بمفردات العنوان لغة ،واصطلاحا، ثم عقدت الثاني :للحديث عن ولادة ونشأة الشيخ محمد أمين ،وكان المبحث الثالث : مكانة التربية والسلوك في المنظور الاسلامي ، ثم خاتمة وخلاصة لاهم ما ورد في البحث والله اسأل ان بفضله يتقبل ويقيل منا العثر والزلل انه نعم المؤمل.

المبحث الاول :التعريف بمفردات العنوان

المطلب الاول: التربية ،لغة واصطلاحا

ورد تعريف التربية في اللغة على أنّها ربا يربو أي نما وزاد، كما ذكرت في القرآن الكريم في قوله تعالى: (فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ)[١]، بمعنى نمت وازدادت،

ويُقال: رَبَّه يُربّه: أي كان له رَبّاً. وفيه [ألك نعمةٌ تُربيها] إي: تحفظها، وتُراعيها وتُربيّها كما يُربي الرجل ولده. يُقال: رَبَّ فُلان ولده يَرُبُّه رَبّاً ورَبَّتَه ورَبَّاه كله بمعنى واحد.

وقيل للعلماء: ربانيون؛ لأنهم يربُّون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها[٢].

أما **التربية** بمعناها العام هي العملية التي تساهم في تشكيل عقل وجسم وخُلق الفرد باستثناء ما يتدخل فيه الوراثة والعمليات التكوينية للجسم، أما التربية بمعناها الخاص :فهي غرس المهارات والمعلومات والمعارف من خلال مؤسسات تم إنشاؤها لذلك، مثل المدارس والجامعات وغيرها. [٣]

والرَّبَّانيُّ: منسوب إلى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وبطاعته ، وعلى قول المبرد مأخوذ من التربية وقال ابن زيد : الرباني . هو الذي يرب الناس ،

---

(١)الحج: ٥.

(٢) ينظر : تفسير القرطبي ،١٢٢/٤.

(٣) ينظر: التربية الإسلامية نظمها – فلسفتها – تاريخها ،لأحمد شلبي: ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ط ٦، ١٩٧٨م ص١١ ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ،عبد الرحمن النحلاوي ، دمشق : دار الفكر ط ٢ ، ١٤٠٣هـ ص ٢١ .

فالربانيون هم ولاة الأمة والعلماء،وهو العَالمُ الراسخُ في العلمِ والدِّين. أوالذي يطلبُ بعلمه وجه الله . (١)

ومن **معاني التربية:** الإصلاح والتهذيب، حيث تُبذل جهودٌ كبيرة ومستمرة لرعاية الطفل، وإصلاح أحواله، وعدم إهماله، بدءاً من الأسرة، مروراً بالمدرسة، ودور العلم، ووعظ العلماء، وقراءة الكتب، وسماع البرامج الهادفة... وهذا وغيره يساعد في إصلاح الطفل، وإثراء نفسه بالعلم المفيد، والنهج السديد، إذ يرتبط طلب العلم بمناهج التربية، مما يعطي الأطفال مع مرور الوقت خبرات ومهارات وتوجيهات، تساعدهم على تحقيق أهدافهم في الحياة، فللتربية دورها الرائد، وأثرها العميق في توجيه ميول الطفل، وربطه بالأخلاق الحميدة، والعلاقات الإنسانية الراقية، وكبح جماح الشهوات، ورفع القوى نحو الخير والصواب(٢).

والتربية اصطلاحاً :هي عملية تنمية وظائف الإنسان الجسمية والخلقية والعقلية حتى تكتمل من خلال التثقيف والتدريب.

ومفهوم التربية اصطلاحا: هو عملية نمو ،واكتساب للخبرة واستخراج ما لدى الفرد من قدرات كامنة وتنميته خُلقيًا ،وعقليًا لإحداث تغيير مرغوب فيه، في سلوك الفرد خاصة ،وفي المجتمع عامة ،بواسطة تفاعل الفرد مع البيئة المحيطة به من أفراد وكائنات حية وغيرها.والتربية عند الفلاسفة يعرّفها أفلاطون: بأنّها عملية التدريب للفطرة الأولى على الفضيلة للأطفال من خلال اكتسابه العادات المناسبة.

(١) ينظر : مفاتيح الغيب، لابي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ٢٧٣/٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٨وما بعدها.

المطلب الثاني: السلوك لغة ،واصطلاحا.

تعريف السلوك لغةً: بالضم مصدر من سَلَك تقول سلك المكان سلكا وسلوكا ،واسلكه اياه،وفيه وعليه،ويده في الجيب ادخلها فيه، ومفهوم السلوك :هو يعني سيرة الإنسان ،ومذهبه واتجاهه وتصرّفاته ،ويقال فلان حسن السلوك ،او سيئ السلوك[١] .

و**اصطلاحًا:** هوما يصدر عن الانسان من انشطة وافعال ، ظاهرة أم غير ظاهرة.

وقيل: بأنّه أي نشاط يصدر عن الانسان كالأفعال التي يمكن قياسها وملاحظتها كنشاطات فسيولوجية ،وحركية أو تلك النشاطات التي تحدث على نحوٍ لا يمكن رؤيته كالوساوس والتفكير وغيرها.

وبالتالي فالسلوك ليس مقصورا على ما يصدره الفرد من تعبيرات لفظية و غير لفظية ،وإنما يشمل كل العمليات العقلية التي تخطر في ذهن الانسان من التفكير والتذكر ،والإدراك وكذلك التخيل وهذه يُستدل عليها بملاحظة النتائج لهذه العمليات، والمعنى المراد أن السلوك على قسمين : سلوك ظاهري واخر داخلي.

وهناك نوعان اساسيان للسلوك الانساني هما:

السلوك الإستجابي: وهو سلوك يأتي كردّةِ فعل على مثيرات سابقة له، اذ بمجرّد حدوث ذلك المثير يكون السلوك، وهذا ما نراه من نزول دموع العين حال التقطيع للبصل، وكذلك إفراز مادة اللعاب عند الأكل في الفم ،وتُسمى المثيرات السابقة للسلوك القبليّة و الاستباقية، وهذا السلوك الاستجابي سلوك لا إرادي، وهو ثابت، اما الذي يتغيّر فهو المثير الذي يسبقه.

والنوع الثاني السلوك الإجرائي: معناه أي سلوك محكوم بالعوامل البيئية التي تحيط الفرد، كالعوامل الاقتصادية ،والتربوية ،والاجتماعية ،والدينية ،والجغرافية وما الى ذلك ،وهذه تدعى بالمثيرات البعديّة، والتي لها اثر في السلوك الإجرائي بشكل كبير ،وقد يكون تأثير ذلك محدودا او معدوما بالمرة عليه، وبالتالي فأنّ السلوك الإجرائي هو سلوك إرادي لحد ما .

---

(١) ينظر : القاموس المحيط ،للفيروز ابادي،دار احياء التراث العربي ،بيروت ،لبنان ،ط١،١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، باب الكاف ،فصل السين ،ص٨٦٩. والمعجم الوسيط،ص٤٧٠.

المبحث الثاني :ولادة ونشاة الشيخ محمد أمين الفيضي

المطلب الاول: ولادته ونشاته عليه الرحمة والرضوان.

أولاً: البطاقة الشخصية

هو الشيخ محمد أمين بن الشيخ محمد شريف بن الشيخ محمد ذخري بن الشيخ عبد الله الفيضي بن الشيخ مصطفى أفندي بن الشيخ جرجيس بن عبد القادر بن عثمان بن محمود الطائي الموصلي الحنفي الفيضي [١] .

وكنيته ."أبو فيضي" نسبة إلى أكبر أبنائه الشيخ فيضي الفيضي رحمه الله تعالى، وكثيراً ما كان يعرف بـ"أمين الفيضي" بالكلمة الثانية من اسمه، كما هو الشائع في الأسماء المركبة، لاسيما عندما كان معاوناً قضائياً في المحاكم، وأما لقب الفيضي فهو نسبة إلى جده الأعلى الشيخ عبد الله الفيضي رحمه الله الذي لقب بهذا اللقب من قبل أحد علماء عصره حين نظم قصيدة في التصوف سماها (وسيلة المشتاق إلى مكارم الأخلاق) [٢].

ويرجع نسب أسرة الفيضي إلى عشيرة الحريث الطائية كما أشارت إلى ذلك وثيقة شجرة العائلة[٣] [٣].

---

(١) ينظر: تاريخ الموصل، سليمان صائغ الموصلي،٢٦٩/٢ (المطبعة السلفية، مصر، ١٣٤٢-١٩٢٣م(ج١)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،١٩٢٨م(ج٢)) ؛ تاريخ الموصل، سعيد اليدوه جي،٢٢٤/٢، (دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) ، الإمداد شرح منظومة الإسناد،، الدكتور أكرم عبد الوهاب الملا يوسف،٨٥/٦ (الدار الجامعية للطباعة والنشر، الموصل٢٠٠٢م موسوعة علماء الموصل، عبد الجبار محمد جرجيس،٢٥٤(مكتب كارديا، الموصل،٢٠٠٩).

(٢) ينظر: المرقاة شرح العلاقات، ق٢(مخطوط بحوزة الدكتور محمد بشار الفيضي).

(٣) ينظر: شجرة عائلة آل الفيضي، والقبائل العراقية،٣٩٣/٢ .

ثانياً: الولادة والنشأة.

كانت الولادة الميمونة للشيخ محمد أمين الفيضي في (٨/ شعبان/١٣٥٥هـ الموافق٢٣ /١٠ /١٩٣٦م) ليلة الجمعة بمنطقة (باب النبي جرجيس) في الموصل المسماة بمحلة (قريش) في قرب مدرسة ورباط جده الثاني الشيخ العلامة عبد الله الفيضي(رحمه الله). ونشأ في بيت والده الشيخ والداعية الكبير محمد شريف الفيضي، الذي كان الإمام والخطيب في جامع حمو القدو بمنطقة الميدان والوعظ والمرشد لكثير من مساجد الموصل، والمدرس الرابعية وغيرها، وكان مقصدا ومرجعا لأهل الموصل في الفتوى والعلم ،والتماس بركة صحبة الصالحين ومجالستهم في جامع حمو القدو، او مدرسة وتكية جده الشيخ عبد الله الفيضي، وهكذا نشأ الامين الفيضي في كنف ابيه، و مدرسة أجداده فتعلم القرآن الكريم، وشيئا من علوم الشريعة،[١] وفي مرحلة الشباب وفي سن الثالثة والعشرين قررت الاسة الكريمة ان يكون عقد نكاح الشيخ محمد أمين في ٨/ ٩/ ١٩٥٩.

ثالثاً: المسيرة العملية والوظيفية

إكمل الدراسة في المدارس الرسمية الحكومية، وتخرج من السادس الأدبي، ليتم تعيينه في محاكم الموصل كمعاون قضائي، أو ما، وكان أول تعيينه في محاكم الموصل ثم سنة ١٩٦٣م نقل إلى بغداد، وعمل لفترة كمحاسب في محكمة الأعظمية، وكما قيل التاريخ يعيد نفسه ، فكما سافر جده الثاني العلامة عبدالله الفيضي الى بغداد عام(١٨٥٥م) [٢]، ثم أصبح مأمورا في تنفيذ الأعظمية، رجع إلى محاكم الموصل بعد ربع سنين ، لكنه لم يلبث الا بضع أشهر وسرعان ما عاد إلى بغداد في محكمة الأعظمية إلى عام (١٩٧٧م) وقد حدثني الشيخ اكثر من مرة عن اقامته لقرابة العقد والنصف وكان يقول: وكان كل سنة شهر، لما وجده من طيبة اهل بغداد وطبائعهم

(١) ينظر: مجلة الرباط (العدد٥٢ السنة التاسعة ١٤٣٣هـ) . ولقاء شخصي مع حضرة الشيخ مسجل بالصورة والصوت .

(٢) ينظر : السلسلة الفيضية ، الفيضي، ص ٧٠.

الاصيلة لاسيما اهل الاعظمية الغراء وكيف ان العمل هناك كان ميسرا سهلا يعينك الجميع على تمامه وازالة ما يعقده او يحول دون تمتمه ، لكن لابد من عودة الى مسقط الرأس وإلى محاكم الموصل ليستقر فيها حتى كان التقاعد عام(١٩٨٣م).

وفي الموصل الحدباء قام بالخطابة في عام(١٩٧٩م) في جامع علي خيري الإمام، في وادي حجر، مسقط راسي وولادتي ، فقد كنت يومها في سن الخامسة ولم اعلم بان هذا الشيخ الجليل هو من يكمل تربيتي وتعليمي في يوم من الايام، ثم خطب في جامع عبدال، وفي عام(١٩٨٠م) نقل كإمام وخطيب إلى الجامع الذي كان يخطب فيه والده (وحمهما الله) وهو جامع حمو القدو وبسبب التقلبات السياسية والافكار الدخيلة عل المجتمع الموصلي التي لن يسكت عنها الشيخ ابدا ،منع من الخطبة والتدريس من عام (١٩٨٦م) حتى عام (١٩٩٠م)، عاد ليعتلي منبر الجامع في عام (١٩٩١م).مع كونه انذاك مدرساً ومعاوناً في مدرسة الحدباء الدينية التابعة لوزارة الأوقاف حتى سنة حتى عام (٢٠٠٠م) ،ثم نقل الإمامة إلى مسجد محمود بك محضر باشي، والمشهور بمسجد مصعب بن عمير(ﷺ)،والمسجد والتكية الفيضية في نفس المربع المكاني حيث جده العلامة عبد الله الفيضي وقريبا من البيت الذي ولد فيه بيت والده الشيخ محمد شريف، بعد هذا الانتقال قام الشيخ الأمين بفتح وإعادة مدرسة جده واقامة حلق الدرس و الذكر الشرعي والاوراد واجتمع على ذلك خلق كثير من اهل العلم والصلاح[١] .ولم تكن هذه السيرة العملية العطرة مقصورة على ما تقدم بل كان مشاركا للحركة العلمية والدعوية في البلد بصفته عضوا في رابطة علماء العراق، وعضوا في جمعية الآداب الإسلامية .واباً روحيا لعشرات طلاب العلم والسلوك واسرهم . [٢]

(١) ينظر: مجلة الرباط (العدد٥٢ السنة التاسعة ١٤٣٣هـ) . وبحث للأستاذ الدكتور : رأفت لؤي حسين ال فرج، الشيخ المربي محمد أمين الفيضي، مناراً للدعوة وقدوة للتربية السلوكية،(١٩٣٦م – ٢٠٠٧م) جامعة الموصل . كلية العلوم الإسلامية موسوعة علماء الموصل ،ص٣٥٦ .

(٢) ينظر: مجلة الرباط (العدد٥٢ السنة التاسعة ١٤٣٣هـ) ، والشيخ المربي محمد أمين الفيضي، مناراً للدعوة وقدوة للتربية السلوكية ،.مصدر سابق.

المطلب الثاني : خاتمة الشيخ وانتقاله لجوار ربه

وسنة الابتلاء بالمرض سنة ماضية في عباد الله من الانبياء والاولياء والصالحين لاستخراج عبودية الضراء والسراء التي لا تكون الا للمؤمن الحق ،فيكون معه رفع الدرجات وكتابة الحسنات ،يقول سيدنا المصطفى : ((ان العبد اذا سبقت له من الله منزلة ثم لم يبلغها بعمله، ابتلاه الله في جسده او في ماله ،او في ولده، ثم صبره على ذلك ،حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله تعال)) (١).

لقد مرض الشيخ اكثر من مرة مرضاً كنا نظن انه مرض الفراق والرحيل ولكن بفضل الله يمد له في عمره ويبارك له في ايامه رحمة باهله ومطلابه ومحبيه وتمهيدا لهم للفراق والموت حت جاء اليوم الذي مرض فيه مرضا عضالاً شديداً قيده واثقل عليه كثيرا الا انه ما كان لينقطع عن مواصلة العمل والمتابعة والنصح والارشاد ، متابعا سير الأعمال الدعوية، وحال الطلبة، حتى اذا اشتد به المرض ولازم الفراش في بيته أسبوعا لايخرج الى احد ، وفي وقت آذان عصر الجمعة وساعة الاجابة للدعاء، ونفس التوقيت الذي قضى عمره يجمع الناس على الصلاة والذكر لله والصلاة على حبيبه المصطفى تخرج روحه الطاهرة ملبية نداء ربها ذاكرة له اذ يخبرنا أحفاده عن اللحظات الاخيرة والانفاس الاخيرة فيقولون: ما رأينا إلا أن الشيخ أخذ يردد ثلاثاً: الله الله الله ، بعد صمت دام أيام ، ليختم حياة مباركة كان لسانه فيها رطبا بذكر الله وقلبا تعلق بمحبة رسول الله .ويترك سفرا تذكره الاجيال من الهمة والعمل والصدق والاخلاص ومحبة العباد والبلاد والغيرة عليهم .وكان ذلك في يوم ١٧ /ذي القعدة/ ١٤٢٨ الموافق ١٢/٧/ ٢٠٠٧م .وقد تم تغسيله وتكفينه والحمد لله الذي شرفني بان اكون مع من قام بذلك ، واقول هنا انني ومن معي كنا نرى بوضوح ابتسامة وفرحة شيخنا على وجهه ومحياه فهو فرح مسرور مستبشر، ولقد حدثنا اكثر من واحد ممن يشهد لهم بالصلاح بانهم قد رأوا شيخنا في المنام على احسن حال وان الله قد اكرم نزله

(١) سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق وتعليق :سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت، كتاب الجنائز ،باب الامراض المكفرة للذنوب برقم (٣٠٩٢)، ١٥٠/٣ .

،اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله واجمعنا به على حوض نبينا الاكرم محمد ﷺ .

وقد ذكر لنا أحد الرجال الصالحين أنه رأى في منامه ليلة وفاة الشيخ أن المنارة الحدباء سقطت، فأولها بموت علم كبير من أعلام الموصل ،وفي اليوم الثاني سمع بوفاة الشيخ محمد امين الفيضي (رحمه الله) .اللهم اجرنا في مصابنا واخلفنا خيرا يا ارحم الراحمين.

المبحث الثالث : مكانة التربية والسلوك في المنظور الاسلامي

المطلب الاول: الفكر الصوفي الاصيل وحال الامة

ان صلاح المجتمع بصلاح افكاره التي يتربى عليها لتكون بعد ذلك سلوكيات واخلاق ثم قيم ومبادئ ، وهذا الامر العظيم لا يكون الا بوجود الربانيين المجددين ،الذين اخبر عنهم الصادق المصدوق فقال((لا يزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق ما اقاموا الدين ،لا يضرهم من خذلهم))(١) ،فنفهم بان المجدد جماعة ولا يشترط ان يكون منفردا، وتاريخ الامة سجل لنا ،بانه كان على رأس المائة الاولى سيدنا عمر بن عبدالعزيز الذي جمع بين العلم والحكم ،فكفى وجوده الامة واعادها الى جادة الصواب ،وفي المائة الثانية كان الخليفة هارون الرشيد مع الامام الشافعي ،وفي الثالثة المقتدر بالله مع ابن سريج وغيره من علماء عصره ،وفي الرابعة القادر بالله مع ابي حامد الاسفراييني، وفي الخامسة المستظهر مع الامام الغزالي ،وهكذا سنة الله ورحمته ان يهيئ لهذه الامة من يجدد امر دينها ،ذاك ان المجددين قد يتعددون في القرن

(١) صحيح البخاري ،الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة،ط١، ١٤٢٢هـ ، برقم (٧٣١١)،٩/١٠١,

الواحد فيكون كل واحد منهم عاملا في ميدان من ميادين الحياة العلمية والعملية، فكل واحد له اثره ومكانته ،

وبداية نقول ان المقصود هاهنا هو الفكر الصوفيّ لعالم وإنسان اليوم ككل، فهل يمكن القول بأن هذا الفكر الصوفيّ سيُعيد الإنسان مرة اخرى إلى جوهره الحقيقي، والى جوهره الكوني وكذلك الكينوني وأنّه جوهر يُضيء ويستشرف العالم وإنسانه من حيث واقعه، وسياقاته حاضره ومستقبله، فلا شك انّ الأزمة الأخلاقية والاجتماعية والروحية في زمن العولمة والغاء الحدود، وصيرورة العالم قرية صغيرة ،قد عمت الجميع وطمت دون استثناء ، وعلى راس القائمة بلداننا الإسلامية ، ولعل ما نراه في ساحتنا من فوضى واضطراب وهَرجٍ ومَرجٍ قد وصل حد الاقتتال وسفك دماء الأبرياء ،ما هو لاّ نتيجة لغياب قضية الروح وتحنيطها ، وان غياب ذلك المعين الصافي والرافد مع وجود اضطراب نفسي واخلاقي ، وانقطاع للسَند العلمي ذلك الذي ظلّ قرونا صمّام أمانٍ، وسفينة نجاة ،وذا يتمثّل في ورثة الأنبياء الذين رحم الله تعالى بهم الخلائق من العلماء الذين كانوا كالغيث اينما وقع نفع وكالشمس للدنيا والعافية للابدان ، يُنيرون الظلام ،ويُنقذون من الضلال ،ويعيدون الخلائق إلى الله على بصيرة، فهم بحق العلماء الربّانيون، وأهل الله العارفون، من الذين جمعوا بين الحقيقة التي كانوا لها سالكين، والشريعة التي كانوا فيها مُتبحّرين مُجتهدين .

نعم الفكر الصوفي الصافي والاصيل هو ما تحتاجه الامة ليؤثّر في الأوساط الاجتماعية والدينية والثقافية، بل والسياسية إذا ما استُعمل بحكمة واخلاص، وابعد عن الاختلاف والجدل والتشاحُن، ليعود إلى دوره الفعّال والمؤثر في المنظومة الاخلاقية من الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر والاصلاح والوعظ، وبناء التعليم، وغرس التديّن ومعاني العبودية الحقة في صفوف الناشئة من أجيال المستقبلّ، ذاك لان الحبّ من أعلى درجات هذا الفكر الصوفيّ، وهو الفكر الأغلى والأرقى الذي تحتاجه اليوم الإنسانية جمعاء .

والحبّ في نظر المتصوّفة، هو أصل شريعة المُحمّديين. فتعاليم سيدنا المصطفى محمّد صلوات ربي وسلامه عليه وعلى اله، نهر حب عظيم، تصبّ فيه شلالات التعاليم الموسوية والعيسوية وما سبق من نور ووحي الهي ، وتنتفي ضمن هذا الحبّ مظاهر الاختلاف التي تسبّب الخلاف ثمّ العداء، في بحر الحبّ الجامع. وتنطلق هكذا رؤية من مبدأ صوفيّ يقول بشهود الحقّ في كلّ الصوَر، وبالوحدة الرّوحيّة من دون حلول أو اتّحاد، بين كلّ الأديان فالإنسان حريص على نجاة وانقاذ اخيه الانسان كل الحرص ان كان مقتديا متأسيا بحضرة الحبيب صلى الله عليه واله وسلم .

ان مكانة الفكر الصوفي وكما يرى ابن خلدون الذي عنى بالفكر الصوفي والمتصوفة عناية مميزة في كتابيه "المقدمة " و"شفاء السائل لتهذيب المسائل" اذ عقد الاول لمذاهبهم وطرقهم المعرفية ،والثاني تكلم فيه بالتفصيل عن فرقهم ومناهجهم وتصوراتهم ومما هو معلوم في تاريخ الفكر الاسلامي بان النزعة الصوفية كانت ردة فعل للمخلصين الصادقين من اهل الايمان والاسلام على الانحرافات والانجرافات والتشوهات التي اصابت الامة في مقتلها فمزقتها الى فرق وجماعات واستبدلت الشبهات والبدع والضلالات بالمحكمات والبينات فظهرت المعتزلة ،والرافضة ، والخوارج ،والمجسمة وغيرهم ،فكان الفكر والنزعة الصوفية حركة تصحيحية للحفاظ على الدين واهله لذا يقول ابن خلدون في كتابه "شفاء السائل"

لما طرقت آفة البدع في المعتقدات، وتداعى العباد إلى هذا معتزلي ورافضي وخارجي... انفرد خواص السنة المحافظون على أعمال القلوب، المقتدون بالسلف الصالح في أعمالهم الباطنة والظاهرة، وسموا بالصوفية.

المطلب الثاني :مرتكزات التربية والسلوك في فكر الشيخ محمد امين الفيضي (البيت ال شبيب السبعاوي نموذجا)

((الربانية، والرحمة، والواقعية والصدق، والنصح والتواصي بالحق، الهمة والمواصلة ، والقول والعمل بالمحبة والرفق ،والايثار والتضحية ،والموسوعية))

منذ اليوم الاول الذي اكرمنا الله تعالى بمعرفة حضرة الشيخ ومع الموقف الاول ترك بصمته واثره ونضرته في فن التربية والسلوك وانني اجد من باب الشكر لله اولا ،وذكرا لبعض الفضل ثانيا، ان اروي هاهنا قصتي وتجربتي الخاصة مع سيدي الشيخ محمد أمين الفيضي- عليه الرحمة والرضوان – ومن ثم اتكلم عن ابرز معالم ذلك الفكر التربوي الروحي الصوفي الفيضي ،والبداية كانت في يوم جمعة من عام الف وتسعمائة وثمان وثمانين أي قبل اربع وثلاثين عاما.. لما حضرنا خطبة وصلاة الجمعة في جامع الاحبيطي في الجانب الأيمن من الموصل الحدباء ..وكان الخطيب أحد طلاب التكية الفيضية وكان شابا بعمرنا وكنت آنذاك طالبا في الخامس الاعدادي في اعدادية الحكمة للبنين ..

وهذا الخطيب هو الشيخ محمد حسن الراشدي وكان طالبا في الاعدادية الاسلامية ..وهو متكلم لبق ،حسن الهيئة جميل الطلعة يرتدي عمامة في غاية الترتيب ،وجبة اضفت الى شخصيته المميزة الهيبة والوقار وهذا الزي الديني لم يكن في ذلك العقد مألوفا لدى عامة المجتمع الذي كانت تسوده مظاهر الحداثة والعلمانية ..والذي نبهنا ودلنا عليه كان الأخ والصديق المهندس محمد شيت وهو احد جيراننا في منطقة وادي حجر ، وبعد انتهاء الخطبة وسلامنا على الخطيب وتعارفنا ، حضرنا الخطبة لأكثر من مرة ،وذات جمعة سرنا نتجاذب اطراف الحديث من الجامع المذكور نناقش الشيخ الراشدي ونساله أنا و أخي أستاذ محمود عبدالله محمد السبعاوي.

لم نشعر بمسافة الطريق حتى توقفنا عند مسجد مصعب بن عمير قرب جامع النبي جرجيس عليه السلام عندما انطلق الشيخ محمد الراشدي متقدما علينا بخطوات سريعة ملؤها الادب والسرور ليقبل يد شيخ مهيب عليه سمت العلم وهيبة العلماء وحوله مجموعة من طلابه لا يتقدمون عليه ولا يبتعدون عنه وقد كان من بين هؤلاء المشايخ : الشيخ صفوان نافع بجبته البيضاء(إمام وخطيب وداعية معروف يقيم في البحرين) ولحيته الكثة شديدة السواد والشيخ محمد عبدالإله(الشيخ المربي والدكتور الداعية وشيخ القراءات غني عن التعريف في الموصل) والشيخ سعد يوسف(الامام والخطيب ودكتور في الشريعة)،والشيخ وليد عبدالجبار(استاذ دكتور وامام وخطيب) وآخرين لا أذكرهم ..

وبعد أن سلم خطيبنا وقبل يد أكبرهم سنا وأعظمهم مهابة وكان هو الشيخ محمد أمين الفيضي(عليه الرحمة والرضوان) ما كان مني ومن أخي الشقيق إلا أن نبادر بتقبيل يد ذلك الشيخ الذي سحب يده قبل تقبيلها ،والذي بدا لنا بين طلابه ومريديه كبدرٍ أحاط به النجم. كنت يومها بزي شبابي ابض اللون يليق بعنفوان تلك المرحلة وذلك الجيل والزمن الجميل وبشعر له تسريحته المميزة ..وبعد السلام دخل حضرة الشيخ محمد أمين الفيضي (عليه الرحمة والرضوان) الى التكية الفيضية ثم تبعه المشايخ الكرام ودخلت وشقيقي من بعدهم إلى المسجد المميز بقدم بنائه وقبته لأثرية(بسبب ما مرَّ بالبلد من حروب تصدعت تلك القبة بشكل كبير) ،

ذلك المكان الطيب ذي النفحات والروح الموصلية العريقة والمكان على صغر مساحته فقد حوى مسجدا وتكية ومقام العلامة الجد الاكبر ذي الجناحين عبدالله الفيضي ، جلسنا في الرباط الفيضي تحت قبته الأثرية التي حكت لنا الكثير وشدتنا بحنين الى العظام من بيوت أهل الموصل وعلمائها وارباب الزهد والتقى.

قدِّم الغداء فتحلق الحضور على سفرته وما كان لأحد أن يمد يده حبا واحتراما قبل الشيخ محمد أمين، الذي لم يأكل الا بعد دعاء طيب مبارك وبحرقة تشعرك بالصدق للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ..وهذا الأمر قد يكون مألوفا لدينا، مع والدنا رحمه الله على الطعام وأن نسمي قبل الأكل ..إلا أنني لم أعهد هذا الدعاء الطيب المبارك الذي يذكك بانتمائك الى الامة المرحومة إلا في مقامي هذا مع حضرة الشيخ و مريديه ..وبعد تناول الغداء، أخذ كل واحد مكانه وعمله، فمنهم من يقوم بالترتيب والتنظيف وإعداد المكان ،ومنهم من جلس في حلقة علم وفقه حتى أُذّن لصلاة العصر وفتح باب المسجد للمصلين ، فاذا بالناس يتوافدون على المكان الصغير والكبير والعالم والعامي والفقير والغني والكردي والعربي والموصلي والقروي، اقيمت الصلاة وكأنها صلاة الجمعة ..وصلى الشيخ الأمين بالناس إماما ..ثم جلس الجميع بعد الصلاة قبالة الشيخ وبدأت الاذكار والتسبيح والصلاة على حضرة النبي صلى الله عليه واله وسلم، وبشكل جماعي جهري، ومن بعدها كانت حلقة ذكر بلفظ التوحيد مع ابتهال

وإنشاد في غاية الروعة والجمال ، ثم حلقة بذكر الاسم الاعظم ,, وهنا لابد أن اقول بأنني لأول مرة في حياتي احضر مجلس ذكر بهذا الترتيب والتنظيم والخشوع ،واسمع القصيد والانشاد بهذه الطريقة التي كانت بالمقامات الحلبية الشامية ،كما اني كنت انظر الى كل شيء وكل تصرف وحركة منبهرا متعجبا فرحا متأملا وكأني أعيش في عالم اخر ،ومقارنا بين ما ألفته وعرفته من حِلَق ذكرٍ وموالد احتفال بولادة النبي ﷺ ، وبين ما أسمعه وأراه من روعة وجمال ..

انتهت حلقة الذكر قرابة صلاة المغرب ،وكان بودنا البقاء الا اننا خرجنا من البيت لأداء صلاة الجمعة ، ولا أحد يعلم بمكاننا وسبب تأخرنا الى هذا الوقت ،فرجعنا أنا وأخي مسرعين فوصلنا بعد المغرب لنجد أهلنا قد قلقوا علينا وذهبت بهم الأفكار كل مذهب ، لكن الخوف والموقف كان مع حضرة الوالد الذي لا يسمح بمثل هذه بالخروج والغياب بهذا الشكل أبدا ،ولن يمرر هذا التأخر بدون محاسبة وعقاب ..

وعندما اصبحنا بين يديه قال مغاضبا: أين كنتما حتى هذا الوقت المتاخر ؟؟؟ ومما زاد الموقف حرجا وضيقا ان لا مناصر لنا في هذه المحاكمة من أهل البيت ، لكن ما أن علم أبي بأننا تأخرنا لحضورنا صلاة العصر وحلقة الذّكر في التكية الفيضية الا ومليء طمأنينة ورضا، وسرعان ما تغيرت ملامح وجهه (رحمه الله) بشكل شجعنا على ذكر كل تفاصيل اللقاء وما حصل ،

واذكر هنا ما قاله السيد الوالد (الشيخ عبدالله محمد السبعاوي)في حق التكية الفيضية وال بيت الفيضي وحضرة الشيخ محمد الامين ،وما كان أبي رحمه الله يرتضي كل مسلك ويمتدح أي شيخ ،وهو العارف بأنساب القبائل وأصل البيوتات الموصلية وقدر كل منها..

وبعد هذا اللقاء والتعرف على منهج التكية الفيضية وانها ليست مجرد مكان لإقامة الصلوات الخمس ،وحلق الذكر بل كانت منارا للفضيلة والعلم ،وكعبة تهوي اليها قلوب كثير من كبار أهل العلم والفضل في الموصل الحدباء، فكانت مدرسة للعلوم الشرعية وتقام فيها حلق الذكر، وحلق علم على يد خيرة علماء وصلحاء الموصل كفضيلة شيخنا العلامة محمد بن ياسين (مفتي الموصل)والعلامة ملا عبدالله وشيوخ القراءات كالشيخ محمد نوري والشيخ علي الراوي وغيرهم ..

ومن هذه التكية وفي هذا الرباط بدأت رحلة العلم والسلوك والصحبة والتزكية قرابة عقدين من الزمن لأكون بعد صحبة الشيخ لعقد ونصف أحد خلفاء الطريقة النورية القادرية ووفق شروط الشيخ (رحمه الله) فلا تعطى الا بعد هذه المدة والتخرج بشهادة في العلوم الشرعية ، وبعد اكمال نصف الدين بالزواج،

وانني اذ اسرد باختصار قصتي مع المدرسة والتكية الفيضية وشيخي محمد أمين الفيضي ،انما لاقف بعد ذلك على أهم مرتكزات التربية والسلوك التي كانت واضحة بارزة في منهجه التربوي ،وقد جعلت من شخصي وال بيتي نموذجا ومن تجربتي مصدرا لتوثيق محاور بعض مضامين هذا البحث ليكون المنهج تطبيقيا وتجريبيا، ورحم الله القائل

يا بن الكرام الا تدنو فتبصر ما قد حدثوك فما راء كمن سمع

فالصحبة والمعايشة مع توثيق أهم الاحداث ، لها وزنها في اعطاء الحقيقة الصورة المثالية التي يتوخاها كل كاتب وباحث .

المطلب الثالث: أهم الوقفات الفكرية في التربية الفيضية

أولا/ خصوصية الزمان والمكان والذات.

لم يكن في تلك الفترة مكان فيه تكامل الغذاء للروح والعقل كما كان عند الشيخ ..

فقد كان سمته – رحمه الله– وتعامله في فترة قل فيها الراكع والساجد ولا يصلي في المساجد الا كبار السن علاوة على وجود المرشد والمربي الروحي ،في مدينة لها طابعها المنتقد والتقليدي القاسي ، اقول ذلك مع انني نشئت في بيت تقام فيه حلق الذكر ويقصده الناس للرقية والبركة والسلوك.. لكن فرق كبير بين تكية والدي الشيخ عبدالله السبعاوي – رحمه الله –(ت ٢٠٠٢م) ، وبين التكية و المدرسة الفيضية ..فان

كان كل ما يؤكل يعد طعاما، فانه ليس كل الطعام مما يصلح القلب والجسد ويكون سببا في قوته ونموه؟؟

ثانيا/ الخبرة التربوية والتوفيق الرباني.

لقد كان فضيلة الشيخ محمد امين الفيضي منور الفكر ثاقب النظر ولا غرابة فعباد الله الصادقين يُسددون ويُوفقون ،وينظرون بنور الله الى الكثير من الفتن والمحن ، التي غربلت الجم الغفير من الادعياء والدعاة .

ولعل بعد النظر هذا او الاستراتيجية الفكرية ان صح القول جعلت من حضرة الشيخ يحافظ على قيم ومبادئ المدرسة والتكية الفيضية وطلابها ومريديها، فكان شديد الحيطة والحذر من التسيس وما فيه من مستنقعات تشوه المنهج القويم بل تمسخ كل صفاء وبركة فيه ،فالخير كل الخير بإصلاح النفس واصطلاحها مع خالقها واتباع نبيها ومن ثم توسيع دائرة الخير والصلاح لتزهق دائرة الشر والافساد ،كما ان فاقد الشئ لا يعطيه، فلا يرتجى الاصلاح ممن لم يصلح نفسه . كما حافظ على طلابه من الافكار الدخيلة والمتطرفة والمكفرة وبيان ان الامة قد ابتليت بأمثال هذه الآفات اختبارا وامتحانا للصابرين والصادقين من مصلحي الامة ومفكريها..

ولعل اهم مايذكر هاهنا ان التغيير للمكان والسفر كان سر الابداع والتميز وسيرة عظماء هذه الامة تحكي لنا معنى السفر والارتحال في تعزيز الطاقة العقلية وملكة الابداع وتكامل الشخصية ، وما اجمل ما قاله الامام الشافعي الذي كان له فقه جديد وعلم متكامل بعد سفره الى مصر واللقاء بعلمائها: [١]

تغرب عن الاوطان في طلب العلى

وسافر ففي الاسفار خمس فوائد

تفرج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد

(١) ديوان الامام الشافعي: تحقيق : محمد عبدالمنعم خفاجي، مكتبة الكليات الازهرية،القاهرة،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م،ص٥٥.

وقال حبيب بن أوس [1]:

وطول مقام المرء في الحيّ مخلقٌ لديباجتيه فاغترب تتجدد

فاني رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد

ثالثا/ المحبة الصافية لله سبحانه ولرسوله المصطفى ﷺوللعباد.

تميز المنهج التربوي في فكر شيخنا عليه الرحمة والرضوان بطريق المحبة الصافية الدالة على الله سبحانه الموصلة الى مرضاته والى محبة نبيه المصطفى صلى الله عليه واله وسلم، وهذا ديدن الرعيل الاول من رجالات التصوف ، فكان نعم المرشد والدليل ونعم الاسوة والقدوة في نفسه وأهل بيته وماله وعلمه حتى مماته رحمة الله عليه.

فهو رضي الله عنه وجزاه عن اهل الموصل الحدباء خير الجزاء ،لم يفرق في دعائه بين مسلم واخر وكان يدعو لامة سيدنا محمد في الصلوات الخمس جهارا بالرحمة والسداد والتوفيق ومن اجمل ما كان يدوم عليه قوله" اللهم اغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات، ولمن اغتابنا واغتبناه ونم علينا ونمينا عليه واذانا واذيناه" يتحلل ويسامح كل من اساء اليه من الجميع دون تمييز او تشخيص، وحري بمن نذر نفسه وعياله وماله لله ان تكون هذه خصاله وبهذا الرقي الاسلامي شيمه واخلاقه .

ولعل نذره لنجله الشيخ فيضي الفيضي منذ ولادته حتى استشهاده(٢٠٠٤م) على يد الفكر الظلامي المجرم الذي كان يتبجح ويتفاخر افراد عصاباته في السجون بقتلهم اياه ، ومع ذلك كان حضرة الشيخ يرفض اتهام أي عنوان ينسب الى الاسلام والى اهل الوطن ، وحال لسانه يقول " ان الذي اكرمني "بفيضي" وجعله رحمة ونفحة خير تجتمع عليه عقول وقلوب مئات الاف من اهل الايمان والاسلام وحتى غير

(١) ينظر: بهجة المَجالس وأُنس المُجالس ، لابي عمر يوسف بن عبدالله النمري المشهور بابن عبد البر(ت ٤٦٣هـ) ، :تحقيق: محمد مرسي الخولي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان،٤٩/١.

المسلمين من ابناء الديانات الاخرى ،وحلقة وصل طول حياته بين كثير من المسميات، فاني لا اسمح ان يكون استشهاده فتنة او سببا لاي فرقة تمزق وتزيد من شتات الامة "وكان سيدي الشيخ محمد امين كلما مر بقبر الشيخ الفيضي في الروضة المحمدية و- ذلك قبل ان ينبش القبر الشريف وينقل الى مقبرة التلفزيون - ، بعد سيطرة العصابات الاجرامية والفكر الظلامي على المدينة ‘كان يسلم ويبكى ويقول الحمد لله الذ ي تقبلك مني يا ولدي فقد نذرتك لله ولدينه مذ كنت بعمر ستة شهور ..وما كان يبغي شيخنا الا مرضاة ربه سبحانه ومحبة نبيه صلى الله عليه وسلم.

رابعاً/ التوازن والحرص على نوعية الثمرة.

فقد كان هناك من يدرِّس ويُقيم حِلق العلم لكنه أهمل التربية والسلوك والتزكية للروح والعقل فكانت بعض ثمارهم وبالا وفتنة على الامة وادوات تمزيق وتكفير وقتل لاتباع امة محمدﷺ، ولأبناء هذا البلد العظيم ، وذاك لغياب التوازن والاعتدال والانصاف في تقديمهم الشريعة ودين الاسلام بكل مذاهبه ومدارسه وتبيين كل نقاط الضعف والقوة لكل عنوان وترك الطالب والمريد يميز ويختار شريطة ان لا يخل بالركن الركين وهو ان يكون رحمة للعباد والخلق لا نقمة عليهم،

وشيخنا الامين رحمه الله كان يؤكد على التوازن والاعتدال والوسطية التي امرنا بها ديننا الحنيف ونبينا الكريم ﷺ ،وان يكون القلب مليئا بالمحبة لله ولرسوله الرحمة المهداة فيكون أمينا على أمة الحبيب وأتباع هذا الدين، حريصا عليهم عزيزا عليه عنتهم لا ينظر اليهم والى غيرهم إلاّ بعين الرَّأفة والرَّحمة المحمدية ،فيكون غيثا أينما وقع نفع ،بقوله وبفعله ،بحاله وسلوكه، والحمد لله ان كانت كل ثمرة من غراس شيخنا ، او جلها طيبة مباركة نافعة ولا نزكي على الله أحدا ونستأنس بما أخرجه الإمام الطبراني من حديث سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه " ألا لا يقلدن رجل منكم دينه رجلا ،إن آمن آمن ،وإن كفر كفر، فان كنتم لا بد فاعلين فلأموات ،فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة"[١] ،

(١) الطبراني : المعجم الكبير ،تحقيق وتخريج حمدي السلفي ،رقم (٨٧٦٤) ،١٦٦/٩.

ولم تسجل الأحداث والمواقف على طلاب المدرسة الفيضية ومريديها ما سجل على الغير من الإنحراف والإنجراف الفكري الذي أذاق العباد والبلاد الويلات والخسران ، ورب حاسد أو مبغض يذكر ما لا يصح ولا يصدق وهذه سنة الله في خلقه اذ جعل لأنبيائه ورسله اعداءاقال تعالى :{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا }[1]،وان اردنا الايجاز في أهم خصائص فكر الشيخ والرباط الفيضي الذي شع نوره في الموصل الحدباء قبل ثلاثة عقود ولا زال مستمرا مباركا ونذكر ضوابطه نقول :

ا/ علاج الأمراض المعاصرة التي تمس واقع الأمة

وانها هي الهدف الرئيس في نشأة الفكر الإسلامي كعلم له استقلاله (منهجياً) عن الفقه وكذلك العقائد، فليس الهدف من شرح أجزاء منظومة الفكر الإسلامي، إظهار هذا على ذاك ولا استعراض القدرات الذهنية والعقلية للمفكر، ذلك أن المفكر الصادق لا يلتفت لهذا أبداً ولا يمكن للشيطان أن يجعل من هذه الأمور مداخل وسبلاً إلى قلبه، ولعل من أبرز وأخطر هذه الآفات هو التخلف الفكري الذي أصاب واقع الأمة فانعكس على الفرد والجماعة دينيا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا نظريا وعمليا ، وليس من تفسير وجواب شاف وكاف على فهم واقع مرير لامة تمتلك كل مقومات العز والتقدم والسيادة ومكامن الغنى ان تكون ذليلة تابعة فقيرة ممزقة يسودها الجهل والتطرف الا ان يكون مصابها في نظامها الفكري.

ب/ إغناء الطروحات والآراء بالنصوص المتفق عليها والمعتبرة لدى جمهور العلماء،

وذلك تحجيم للآراء الشاذة والضعيفة بالنزوع إلى المجمع عليه من النصوص القطعية الثبوت والدلالة من مختلف مصادر التشريع وحسب أولوية المراتب.

(١) الفرقان : الآية ٣١.

ج/ تقويم الأسلوب المتعلق بطرح الفكرة من خلال النقد الذاتي والاستعداد لقبول النقد الخارجي،

وخصوصاً ذلك النوع الموضوعي والمبدئي ومناقشة الرأي الآخر والأخذ والرد بهدف الوصول إلى أسلم السبل نحو تطوير وتجديد الفكر الإسلامي وبث روح النهوض بواقعه المعاصر.

د/ تقديم صورة الإسلام الحقيقية من خلال حملة التجديد،

حيث أنه الهدف الثاني والذي يقع في صدارة الأهداف الكامنة وراء حملة التجديد والتطوير في واقع الفكر الإسلامي، ومن أمثلة ذلك: تقديم ثقافة التماسك الاجتماعي والتعايش السلمي وأثرهما في حصانة المجتمع السليم إزاء الأخطار والأمراض التي تتهدد المجتمعات الإنسانية باستمرار، وكذلك تأكيد الإسلام على ضرورة التعايش السلمي مع الراغبين بذلك من الآخرين، وكدافع رئيسي على فهم تركيبة عقلية المسلم فإن ذلك الجهد يأتي في ذات السياق أي بمنظومة الفكر الإسلامي الأصيل المتزن والدعوة كذلك للحوار على أساسها واستناداً إليها.

٥/ – كان فكر الشيخ الامين بعيدا كل البعد ،عن جميع أشكال الاستعلاء الفكري،او الشعور بالأفضلية المتشنجة تجاه الآخرين،

وكذلك مع ما شذ من الآراء والأفكار، و لم يكن الشيخ (رحمه الله) ممن يحمل شعار وفكر " خالف لتعرف " واعتمادها لكي يذيع الصيت ، وما الى ذلك من افكار ومناهج وقع فيها او استخدمها اولئك الذين تحجرت عقولهم وقست قلوبهم ممن ابتليت بهم الامة المحمدية على مر الصور وهذا كله من مظاهر التخلف الفكري الذي يسبب تشويشاً واضطراباً واضحين في حركة التجديد والاحياء والتنوير .

لا شك أن هذه اللمحة الموجزة عن المنهج الفكري التي قادها الشيخ محمد امين الفيضي وطلابه ومحبيه موجزة مقتضبة ، لكنها قد تكون محاولة جادة من المحاولات

الداعية لإحياء روح الأمة والتصدي مع كبار المفكرين والعلماء لهذه القضية الحساسة المهمة.

ونبذة عن بعض المقدمات المتواضعة في مجال انجازات رجال الفكر والدعوة الإسلامية المعاصرة في بلدنا المعطاء وموصل الأنبياء والأولياء والعلماء، لإرساء القواعد العلمية والعملية المتينة التي تبنى عليها تلك المؤسسات العلمية والروحية من المدارس والتكايا ذات الطابع البنائي والاحيائي لمقومات الامة الوسط.

الخاتمة:

ما توقف عليه الواجب يصير واجبا ،وكذا المسنون والمباح، وحماية الدين والحفاظ على قيمه ومبادئه وتبليغه قلبا وقالبا روحا وجسدا هي وظيفة المرسلين ووظيفة من اتبعهم باحسان الى يوم الدين من عباد الله المخلصين والعلماء الربانيين الذين جعل الله في وجودهم وحياتهم حياة للامة ومصدرا لقوتها وصمام امان لدينها.

الفكر والتربية مفهومان ومصطلحان لا يفترقان ، ولا يرتفعان من حيث المقصود والغاية ،ولا يمكن للتربية ان تكون بدون فكر يؤطرها ويحدد مسالكها، فهما اشبه بالبوصلة والسيارات ،فمهما تغيرت الطرق ومهما تبدلت الوجهات تبقى البوصلة نحو الهدف.

التقويم الفكري المستمر، فالكمال ان تشارك اهل العلم والخير في رأيهم ،وان تعرض بضاعتك على ذوي التخصص بين حين واخر وهذا ماكان عليه الشيخ الامين رحمه الله ،فقد كانت المدرسة والتكية الفيضية تستقبل الكثير من اهل العلم والفقة والفكر وكان الشيخ يطلعهم على كل ما يقوم به السالك وطالب العلم وما يقدم له ،وكان ثمة سجل تشريفات خط فيه الكثير من الثناء والدعاء والملاحظ ،وهذا الامر التقويمي مما ينفرد به فكر الشيخ في التربية والسلوك.

فلم يكن الشيخ رحمه الله ذا تعصب وجمود وعدم قبول للنقد والنصح لانه كان يفكر بمنظار الامة لا بمنظار الفرد والانزواء تحت عنوان قومي او طائفي او طبقي ،الامر الذي جمع على فكره ومحبته ما لم يكن يجمعه غيره .وكم مرة يسالني حضرة الشيخ عن رأيي وقولي وانا التلميذ الصغير امامه ويقول انتم طلاب علم وتلتقون باهل العلم فقد يكون مع احدكم الجواب الامثل والارجح.

لأهل الموصل مزية وخلق خاص بهم ،ذاك انهم لا يرضون باي بضاعة ولا يصفقون لأي كلام ،ولا يكنون في انفسهم احتراما وتقديرا الا لمن كانت له اليد البيضاء والفكر البناء وعرف اصله وحسبه ونسبه لذا كان البيت الفيضي من اشهر البيوتات الموصلية واكثرها احتراما وتقديرا لما قدمته من خير وفكر وتضحيات كان اخرها دم الشيخ الشهيد والداعية الكبير الدكتور فيضي الفيضي .

كان الشيخ محمد امين رحمه الله قد شخص وعاين مدى تفشي التخلف الفكري الذي عم وطم العباد والبلاد ،وادرك بتوفيق الله تعالى ان انجع العلاج بتركيز العمل والتطبيق الواقعي للعلم النافع ،وخلق القدوات في كل مجال فكان من طلابه الطبيب والمهندس والمعلم والاستاذ الجامعي والمحامي والضابط والشرطي والكاسب والحرفي ، علاوة على الدعاة والخطباء.

هناك الكثير من الخير في الموصل الحدباء الا ان المدرسة والتكية الفيضية وبصدق شيخها وال بيته مع الله عز وجل كان لهم القبول ،والاثر الايجابي في توجيه المجتمع الموصلي وابنائه ،كما ان استمرار فكر ورسالة الشيخ من بعده دليل خيرية ،فخير الاعمال ادومها، والفكر الصحيح المعتدل هو السر البقاء والديمومة .

ومن عينات الاثر الفكري والتربوي للشيخ محمد أمين الفيضي بيت ال شبيب السبعاوي الذي تأثر بالشيخ فكان في بيت واحد بضع عشرة طالب وطالبة للعلم الشرعي منهم بدرجة الاستاذية ومنهم الحافظ لكتاب الله ومنهم المجاز بالعلوم العقلية والنقلية ،فخمسة اصحاب شهادات عليا ،وعشرة منهم كانوا خطباء ودعاة ،اما من اخذ السلوك والاوراد القرانية والادعية النبوية وصيغ الصلاة والسلام على خير البرية فمعظم

ذرية بيت الشيخ عبدالله السبعاوي من الرجال والنساء ،فجزى الله عنا الشيخ محمد امين خير الجزاء وجمعنا به مع سيد الاولياء والانبياء صلوات ربي وسلامه عليه وعلى اله وصحبه اجمعين.

المصادر والمراجع:

القران الكريم.

– الأدب المفرد: لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت،ط٣ ، ١٤٠٩ – ١٩٨٩.

– أصول التربية الإسلامية وأساليبها ،عبد الرحمن النحلاوي ، دمشق : دار الفكر ط ٢ ، ١٤٠٣هـ.

– الإمداد شرح منظومة الإسناد،، الدكتور أكرم عبد الوهاب الملا يوسف،(الدار الجامعية للطباعة والنشر، الموصل٢٠٠٢م

– البحر المديد :لأحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية . بيروت،ط٢ / ٢٠٠٢ م . ١٤٢٣ هـ.

– بهجة المَجالس وأُنس المُجالس ، لابي عمر يوسف بن عبدالله النمري المشهور بابن عبد البر(ت ٤٦٣هـ) ، :تحقيق: محمد مرسي الخولي ،دار الكتب العلمية ،بيروت

– تاريخ الموصل، سعيد اليدوه جي،٢/٢٢٤، (دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) ،

– تاريخ الموصل، سليمان صائغ الموصلي،٢/٢٦٩ (المطبعة السلفية، مصر، ١٣٤٢-١٩٢٣م، المطبعة الكاثوليكية، بيروت،١٩٢٨م.

– التربية الإسلامية نظمها – فلسفتها – تاريخها ،لأحمد شلبي: ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ط ٦، ١٩٧٨م .

– تفسير القرطبي .

– ديوان الامام الشافعي: تحقيق : محمد عبدالمنعم خفاجي، مكتبة الكليات الازهرية،القاهرة،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

- السلسلة الفيضية ،الفيضي ،بهاء الدين عبدالله بن مصطفى الطائي الموصلي ،ت ١٣٠٩هـ، للاستاذ الدكتور رأفت لوي حسين ال فرج ،دار الجيل العربي ،عمان،ط١/١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
- سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق وتعليق :سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت.
- شجرة عائلة آل الفيضي، والقبائل العراقية،
- الشيخ المربي محمد أمين الفيضي، مناراً للدعوة وقدوة للتربية السلوكية ،بحث للأستاذ الدكتور : رأفت لؤي حسين ال فرج، ،(١٩٣٦م – ٢٠٠٧م) جامعة الموصل . كلية العلوم الإسلامية موسوعة علماء الموصل .
- صحيح البخاري ،الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة،ط١، ١٤٢٢هـ.
- الطبراني : المعجم الكبير ،تحقيق وتخريج حمدي السلفي.
- القاموس المحيط ،للفيروز ابادي، دار احياء التراث العربي ،بيروت ،لبنان ،ط١٤٢٢،١هـ/٢٠٠٢م.
- مجلة الرباط (العدد٥٢ السنة التاسعة ١٤٣٣هـ) ولقاء شخصي مع حضرة الشيخ مسجل بالصورة والصوت .
- المرقاة شرح العلاقات ،القسم الثاني ،(مخطوط بحوزة اسرة الشيخ رحمه الله)،
- مفاتيح الغيب، لابي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي .
- موسوعة علماء الموصل، عبد الجبار محمد جرجيس،٢٥٤(مكتب كاردينيا، الموصل،٢٠٠٩).
- والمعجم الوسيط، مجموعة علماء، دار المعارف، ط٢. ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م.